مدينة أو قصر زنينة –الإدريسية– بمنطقة الجلفة ودورها التاريخي والحضاري.

The city or Ksar of Zenina –Al- Idrisiya - in the Djelfa region and its historical and civilized role

ط. د/ فريال، يحياوي
جامعة جيلالي ليابس ـــ سيدي بلعباس ـــ
ferial.yahiaoui@univ-sba.dz

تاريخ الإرسال: 2022/04/06 تاريخ القبول: 2022/09/08 تاريخ النشر: 2022/11/30

ABSTRACT :

The city of Zenina is considered an important metropolis in the history of the Djelfa region throughout the ages, It is one of the oldest urban centers in the region, which was dominated by Bedouin life and nomadism, In the modern period, the city was a target for the campaigns of the men of the Ottoman authority, Most notably the attack of Bey Muhammad Al kabir, who stormed it and confiscated the wealth of its residents, in a campaign chronicled by the writer Ahmed Ibn Hattal al-Telmisani. During the period of the French occupation, the city supported Al Emir Abdelkader, where it hosted him and provided his army with supplies, and remained loyal to him, which cost it the revenge of the French columns, and in the spring of 1846 AD, General Youssef burned it, And mass killings of its men were launched, after which the city was abandoned for a decade, During the period of great famine experienced by the Djelfa region in the aftermath of the First World War, Zawiya Zenina and its sheikh Si Abdel Qader Taheri, who played a great social role, also graduated from great scholars, perhaps the most prominent of whom were

reformer Attia Massoudi, Abdel Qader Al Shatti, and Lakhdar Al Zawi.

Keywords: Zenina; Ottoman authority; French occupation; Zawiya; Djelfa region.

الملخص:

يعتبر قصر زنينة معلما حضاريا مهمًّا في تاريخ منطقة الجلفة على مرّ العصور، فهو من أقدم المراكز العمرانية بالمنطقة التي غلبت عليها حياة البداوة والترحال، يكتسي القصر أهمية أثرية بالنظر لما يحتويه من رسوم تعود إلى ما قبل التاريخ، وفي الفترة الحديثة شكّل القصر هدفا لحملات رجال السلطة العثمانية، أبرزها هجوم الباي محمد الكبير الذي اقتحمه وصادر ثروات سكانه، في حملة أرّخ لها الكاتب أحمد ابن هطال التلمساني، وفي فترة الاحتلال الفرنسي، ناصر سكان زنينة الأمير عبد القادر، حيث استضافوه وزوّدوا جيشه بالمؤونة، وبقوا أوفياء له، مما كلّفهم انتقامات الطوابير الفرنسيّة، ففي ربيع 1846م أحرق الجنرال يوسف قصر زنينة، وشنّ عمليات تقتيل جماعية في حق رجاله. هُجّر في أعقاب ذلك لعقدٍ من الزمن، وفي فترة المجاعة الكبيرة التي عاشتها منطقة الجلفة في أعقاب الحرب العالمية الأولى، برزت زاوية زنينة وشيخها سي عبد القادر طاهري، الذي لعب دورا اجتماعيا كبيرا، وقام بنشاط تعليميّ بارز، حيث تخرّج على يده مصلحين وعلماء كبار، من أبرزهم الشيخ عطية مسعودي وعبد القادر الشطي، ولخضر الزاوي.

الكلمات المفتاحية: زنينة؛ السلطة العثمانية؛ الاحتلال الفرنسي؛ الزاوية؛ منطقة الجلفة.

مقدمة:

يُعتبر قصر زنينة من أقدم وأهم حواضر منطقة الجلفة، وقد شكّل وجهة مهمّة لعلماء الآثار نظرا لما يحتويه من نقوش حجرية بجبل سردون تحديدا، تعود هذه الرسوم إلى فترة ما قبل

التاريخ، وهو الجانب الذي أثار اهتمام الكتّاب الفرنسيين، الذين وُجِّهت جهودهم نحو محاولة إحياء تاريخ الرومان في الجزائر. سنحاول من خلال هذه الورقة البحثية تسليط الضوء على الدور الإيجابي الذي لعبه القصر عبر التاريخ بفتراته القديمة والوسيطة والحديثة والمعاصرة. ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى نقص المادة العلميّة والكتابات المرجعيّة الوطنية التي عُنيت بتاريخ قصر زنينة، الأمر الذي من شأنه أن يؤثّر على دقة وعمق هذه الدراسة. تدور إشكالية الموضوع حول الدور التاريخي لقصر زنينة عبر العصور، ومن هذه الإشكالية، حاولنا الإجابة على التساؤلات التالية: ما هو مفهوم القصور؟ وكيف نشأ قصر زنينة؟ ومن هي أهم القبائل التي استوطنت القصر؟ كيف كانت طبيعة العلاقة التي ربطت سكان القصر بالسلطة العثمانية في الجزائر؟ وما هو الدور الذي لعبه سكان زنينة خلال فترة المقاومة الشعبية؟ وفيما تمثّل الدور الاجتماعي والثقافي لزاوية عبد القادر الزنيني؟.

1- القصور:

إن مصطلح القصر الذي يعني القرية أو الدشرة أو الدوّار، هو عبارة عن تجمع كبير من المنازل العربية، يحاوطها سور مبني خصيصا أو تشكله الجدران الخلفية للمنازل، ذو أزقة ضيّقة، يضمّ القصر أيضا بساتين وحدائق. يتم بناء منازل القصور بالطوب الطيني المجفف في الشمس، والذي يبقى بدون طلاء، ولا تحتوي هذه المنازل على نوافذ سوى بعض الثقوب، والفناء المترلي الذي تفتح عليه الغرف المأهولة[1] وقد تحدث الجنرال دوما (Dumas) عن قصر مسعد بالجلفة فقال: "**قصر مسعد على بعد** 8 **كلم من غرب دمّد، إنه قصر من أربعين إلى خمسين مترلا مبني بناءً محكما ومحاط ببساتين مغروسة**"[2]، ورغم عدم وجود احصائيات تساعدنا في تدعيم هذا القول، ولكن من خلال الكتابات المعاصرة أو القريبة من هذه الفترة، يستطيع الباحث بسهولة أن يستنتج أن سكان القصور يشكلون أقلية من حيث العدد والمساحة التي يشغلونها،

وهذا بالقياس مع طبيعة المجتمع الجزائري ككل الذي يتغلب فيه سكان الأرياف على سكان المدن من حيث العدد، وكذلك بالنظر إلى طبيعة المجتمع بالجلفة الذي يغلب عليه الطابع الرعوي، والذي يستدعي بطبيعة الحال التنقل والترحال الدائمين. تُرجع الكثير من الكتابات نشأة القصور، إلى عاملين أساسيّين:

أ. حاجة البدو الرحل إلى تأمين ثرواتهم ومدخراتهم من القبائل المجاورة، التي كثيرا ما كانوا معها في حالة حرب.

ب. صعوبة حملها في رحلاتهم الطويلة، حيث كانوا يجوبون بماشيتهم مناطق شاسعة من الجزائر بحثاً عن المراعي.

في البداية بنى البدو مطامير جماعية وأحاطوها بأسوار، ثم تقرّر للدفاع عن هذه المخازن، استقرار جزء من البدو الرحل بعد أن تسلحوا وبنوا لأنفسهم مساكن. وكان تشييد القصر يتم في الأماكن الصالحة للزراعة سواء من ناحية الأرض وخصوبتها، أو من ناحية السقي، أي توفر الآبار والعيون والمجاري، وهذه الزراعة ظلت معاشية توجّه بالأساس لسد احتياجات سكان القصر، وتمثلت في بعض الأشجار المثمرة، وكذلك كومات من القمح والشعير[3]. قسّم الدكتور والباحث في التاريخ المحلي للجلفة بن سالم المسعود، منطقة الجلفة من الناحية الجغرافية إلى ستة نطاقات تضم قصورا ودشرات وهي: قصور نصف قوس الجلفة (الشارف، عامرة، زكار، والمجبارة)، قصور زنينة (زنينة وبن يعقوب)، قصور حاضرة مسعد (دمّد، مسعد، والحنية)، قصور منطقة جبل بوكحيل (سلمانة، البرج، عمورة، عين سلطان، وعبد المجيد)، قصور زنزاش (حد الصحاري أو بويرة الصحاري)، قصور منطقة تعظميت (النثيلة الذي هُجر عقب وصول الفرنسيين، الهيوهي، والحاجب)[4].

2– قصر "زنينة":

يقع قصر زنينة جنوب غرب منطقة الجلفة، وحمل بعد الاستقلال الوطني اسم "الإدريسية" نسبة للشهيد عمر إدريس، أما تسميّة زنينة حسب أغلب الروايات فإنها اسم ملكة بربرية، وقد أشار كتاب "رومنة إفريقيا" إلى النقوش الحجرية في جبل سردون القريب من زنينة، وهذه النقوش كانت تمثل رسوم لجمال ونعام وثعابين، وأخرى تمثل طيور وأكباش وأحصنة[5]. وقد نقل الأب فرانسوا دوفيلاري (François De VILLARRET) ما تحتفظ به الذاكرة الشعبية المحليّة بشأن مرور الصحابي سيدي عقبة بقرية زنينة في طريقه للوصول إلى تاهرت[6]، وأضاف معلومات بشأن حلول قبيلة البدارنة بها بعد الإسلام، ثم استقرار الولي الصالح سيدي امحمد بن صالح الذي ظل ضريحه لفترة طويلة وجهة للزيارة وأخذ البركة، ويذكر المترجم العسكري آرنو (Arnaud) أن قصر زنينة قديم جدا وأن تسميّته نسبة إلى امرأة عاشت فيه قبل عهد النبوّة، كما يشير آرنو إلى أنّ القصر يضمّ عدّة ينابيع تقع كل واحدة منها ضمن السور الذي يحمي المدينة من الحيوانات، كما يذكر أنه يوجد بالمدينة نظام ريّ يضم قنوات تحت الأرض تسقي بساتين جميلة ثم تلتقي في ساقية لتسقي حقول قمح لم تؤت أكلها[7]، وقد أشار العقيد ترومليو (Trumelet) إلى قصر زنينة، وذكر بأنه على غرار قصر سيدي بوزيد، كان يتردد عليه الكثير من الطلبة في القرن الحادي عشر هجري، عكس قصر تيولفين الذي أسسه الشيخ سيدي علي بن محمد والذي لم يحظ بالإقبال، إلى أن أسس الشيخ عبد العزيز الحاج قصر الشارف بداية القرن السادس عشر، واستطاع أن يستقطب جموع الطلبة والمريدين بالمنطقة.[8]

3– أهم القبائل المنتشرة بقصر "زنينة":

أ ـــ أهل زنينة: ينتسبون إلى الولي الصالح سيدي امحمد بن صالح. تُرجع الكتابات نسبه إلى حسن السبط بن علي بن أبي طالب، وينقسم العرش إلى أربعة فرق: فرقة أولاد العبد، أولاد الطيب بن سليمان، أولاد الجنادة، الزواتنية[9].

ب ـــ أولاد سيدي يونس: يتداخل أصل هذه القبيلة مع "أولاد يونس" الذين هم من الصحاري، وبالنسبة لأولاد سيدي يونس المعنيّون بهذه الدراسة، كانوا لفترة طويلة منضمّين إلى الصحاري ولكنهم ليسوا منهم، فسيدي يونس من الأشراف، وقد قطن قصر بن يعقوب وعاش فيه مرابطا حيث أصبح ذائع الصيت وصاحب كرامات، وقد عاش في زمن راشد بن مرشد سلطان الصحاري، وبقي أولاده قرب ضريحه في بن يعقوب وعقدوا حلفًا مع العبازيز، وبذلك عاش أولاد سيدي يونس مجموعة صغيرة مرابطة[10]، تمركزت في بن يعقوب وزنينة وهم الذين يرتبطون مع أهل زنينة في الكتابات الفرنسية، واعتبرهم قانون "السيناتوس-كونسلت" قبيلة واحدة.

ج ـــ أولاد زيد: نسبة إلى زيد بن أحمد وابنه اهبال، من العرب الأدارسة الذي فروا من الحجاز على إثر ثورة العلويين ضد الأمويين، ونزلوا بالمغرب الأقصى. استوطن أولاد زيد المنطقة الجنوبية من المغرب الأقصى وبالضبط نواحي السوس الأقصى، حيث حكموا لمدة طويلة، وبعد فتنة على السلطة سنة 1635م، غادروا المغرب الأقصى ودخلوا إلى الجزائر، وتفرقوا فيها تفاديًا للمتابعة والثأر، استقروا في البداية في منطقة الزاب، ثم توزعوا حيث استقر اهبال نواحي دار الشيوخ وتوفي هناك، وفي سنة 1660م توسعت فرق من أولاد زيد حيث جاورت قبائل أولاد نايل، وبالنسبة لمنطقة الجلفة توزع أولاد زيد نواحي قصر مسعد، ودار الشيوخ، وبشكل كبير في زنينة حيث يُعرفون بأولاد الجلالي[11].

د ـــ العبازيز: قبائل حسينية، ينتسبون إلى علي بن أمحمد بن يوسف بن راشد بن رشيد بن فرقان بن سليمان بن أبي بكر بن مؤمن بن عبد القوي بن عبد الرحمن بن إدريس بن موسى بن اسماعيل بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب[12]. يتواجد العبازيز في الجهة الشمالية الغربية للجلفة، وتعتبر زنينة أحد أهم مدن تمركزهم، بالإضافة إلى الشارف والجلفة، وبنسب قليلة في سيدي لعجال، تاجموت، عين بوسيف، والأخضرية.

هـــ ـــ أولاد نايل: شهدت زنينة وفود فرق وعائلات من قبيلة أولاد نايل الكبيرة، خاصة من عرش أولاد أم هاني وأولاد سي أحمد، وأولاد نايل عموما ينتسبون إلى محمد بن عبد الله الخرشفي المعروف بـــ "سيدي نايل" والذي عاش في القرن السادس عشر للميلاد، وهو من أحفاد إدريس الأكبر، ووفد إلى المغرب الأوسط من منطقة فجيج بالمغرب الأقصى، وتتلمذ على يدي أحمد بن يوسف الملياني، وبعد وفاة معلّمه، تنقل سيدي نايل بين الجزائر والونشريس ثم ارتحل إلى الجنوب بسيدي عيسى حيث استقرّ وتوفي هناك، وترك حسب أغلب الروايات خمسة أبناء، وهؤلاء توسعوا ليشمل تواجدهم المنطقة الممتدة من الزاب وبوسعادة شرقا إلى غاية جبل العمور في الغرب.[13]

4- سكان زنينة بين السلطة العثمانية والاحتلال الفرنسي:

كانت زنينة هدفا لرجال السلطة العثمانية، فقد شكّل سكانها على غرار قبائل أولاد نايل، فئة متمردة ترفض تقديم الضرائب التي كان يلتزم بها سكان الجزائر عموما تجاه العثمانيين، و لم يكن بايات التيطري وحدهم من قادوا حملات تأديبية ضد قبائل منطقة الجلفة التي تنتمي إداريا لهذا الإقليم، كذلك باي الغرب الجزائري محمد الكبير[14]، هاجم الناحية الغربية من منطقة الجلفة حاليا، وكان ذلك خلال سنة 1785م، وتطرّق إلى تفاصيلها كاتب

الباي أحمد بن هطال التلمساني[15]، في كتابه حول هذه الرحلة التي قادت الباي الكبير للجنوب الصحراوي، وقد استهدفت بالتحديد بلدة زنينة، وكان السبب أن الباي عندما وصل إلى قرية "الشارف"، علم من رجاله أن بلدة تسمى زنينة تبعد عن الدبداب بنحو أربع ساعات، تعود إلى "**قبائل عربية قوية ممن لا يدينون بالولاء لأحد**"، قد سبق لسكانها أن طردوا باي التيطري وقتلوا له رجلين، وأن الباي تراجع مرتبكا ويائسا من فرض سلطته. وعقب سماعه بالحادث، عزم الباي محمد الكبير على الانتقام من السكان وإعادة الاعتبار لرجال السلطة العثمانية، "...**اشتد حرصه عليها، وأراد النزول بقربها، فراوده بعض من كان معه من المشائخ أن لا يذهب إليها، ويكشف حريمها... وهم مشتغلون في خدمتك، وأنهم يجمعون خمسة وعشرين مملوكا ويقدمون به لحضرتك...**" [16]، رغم ذلك لم يشأ الباي إلا معاقبة سكانها، وتوجيه حملة ضدهم.

أوكل الباي مهمة قيادة هذه الحملة، إلى خليفته محمد بن عبد الله، الذي توجّه على الفور نحو زنينة مع بعض العسكر، وحينما رآه سكانها أدركوا بأن قوتهم لا تستطيع دفع هجوم القوات العثمانية، فهجروا القصر دون ثرواتهم ومؤونتهم، التي استولى عليها جيش الباي دون قتال، وقد عبّر ابن هطال عن عملية الاستيلاء هذه بقوله: "...**فانتهبت جميع ما فيها من القماش والغرائر والسمن وغير ذلك مما ترغب فيه النفوس، وقد وجد فيها من القمح والشعير ما لا يحصي عدده إلا الله تعالى...**" [17]. واصل الجيش العثماني أعماله الهجومية على المنطقة، حيث غزا بألفي فارس قبيلة أولاد سعد بن سالم المتواجدة ناحية القنطرة جنوب شرق زنينة، واستولى إثر ذلك على غنائم كبيرة[18]، وهكذا حقق الباي محمد الكبير حملة ناجحة، بعكس حملة سابقه عثمان باي على قبيلة أولاد سي أحمد والتي انتهت بمقتله.

في عهد الاحتلال الفرنسي، استضافت زنينة الأمير عبد القادر حيث يشير العقيد ترومللي إلى وجود الأمير عبد القادر بقصر زنينة سنة 1836 في سياق حديثه عن تعيين الحاج العربي كخليفة على قصر الأغواط، ولقاء هذا الأخير مع الأمير في زنينة، وقد ظل القصر وفيًّا للأمير عبد القادر ودعّمه حتى في أيام ضعفه ومطاردته من طرف الجنرال يوسف[19]، فبتاريخ 20 مارس 1846، توجّه طابور يقوده الجنرال يوسف وآخر يقوده العقيد رونو (Renault) نحو زنينة، وقد وصلا إليها يوم 22 مارس، وبمجرد ظهورهما أطلق عليهما السكان النار، في محاولة منهم لمساعدة الأمير عبد القادر على الابتعاد والالتحاق بقصر سيدي بوزيد، فقد تفطن الفرنسيون إلى أنه كان قبل 30 ساعة بهذا القصر، ونتيجة لهذا الفعل انتقم الجنرال يوسف من سكان زنينة بتهمة التعاون مع الأمير عبد القادر، واطلاعه على أخبار الحملة، وعرقلة الفرنسيين عن اللحاق به، وقد حاول السكان الفرار، لكن قوات يوسف استطاعت اللحاق بهم وقتلت لهم 30 رجلا[20]، واستولت على مواشيهم، وكان من بين من قُتل قايد فرقة أولاد شريف وشيخ قبيلة يدعى "زيتوني"، وهما من الأعوان السابقين للأمير عبد القادر، وبلغ انتقام الجنرال يوسف أن أمر بإحراق القصر الذي هجره أهله، وبقي لسنوات فارغا، وعقب ذلك عادت الحملة أدراجها حيث التحق بها خليفة الأغواط أحمد بن سالم[21].

ذُكر قصر زنينة في قاموس بلديات الجزائر (1903)، ويُشار إليه على أنه قصر لأولاد سيدي يونس وأهل زنينة وأنه يتبع بلدية الجلفة التي يبعد عنها بمسافة 80 كلم وعن آفلو بمسافة 58 كلم وعن الأغواط بمسافة 102 كلم على طريق ثنية الحد ـــــ الأغواط، وأن أهله يمارسون تربية الأغنام، كما ذكر القاموس في موضع آخر أن مجموع عدد أولاد سيدي يونس وأهل زنينة هو 2092 [22]. أسس الفرنسيون بالقصر مدرسة ابتدائية، وقد حملت اسم "راؤول البوني"، وفي يوم 15 سبتمبر 1870، أصدرت سلطات الاحتلال قرارًا يقضي بإنشاء ثلاث

محكمات مالكية بمنطقة الجلفة، منها محكمة زنينة وكان مجال اختصاصها قبائل أولاد سيدي يونس، أهل زنينة، العبازيز، أولاد رقاد الغرابة والشراقة، وأولاد خناثة، ويتمثل موظفوها في قاض وباش عدل[23]، ونجد إشارة لهذه المحكمة سنة 1918 وقد تدعّمت إدارتها بعدل وعون[24].

5- زاوية الشيخ عبد القادر الزنيني:

أ. نبذة عن الشيخ عبد القادر الزنيني:

هو الشيخ عبد القادر بن مصطفى طاهري من مواليد سنة 1291 ه 1873م بقصر زنينة، حيث نشأ وحفظ القرآن في سنّ مبكرة، وبالإضافة إلى تعلّمه اللغة العربية، تحصّل على شهادة التفوق في اللغة الفرنسية، ثم أخذ مبادئ الطريقة الرحمانيّة وأجازه فيها الشيخ عطية بن أحمد بيض القول. لازم سي عبد القادر القاضي المختار بن علي وأخذ عنه الفقه، وفي سنة 1907 أسس زاوية زنينة، وبالتزامن مع نشاطه الصوفي حيث عرف عنه حياة الزهد والوقار والأمانة واشتهر بالإصلاح وأعمال الخير بين الناس[25]، مارس الشيخ عبد القادر التعليم والخطابة والتدريس بالمسجد العتيق، ولعب دورا جهاديّا خلال الثورة التحريرية بتزويد المجاهدين بالمؤونة، وقد ارتقى ولده عبد الرحمن شهيدا، توفي سي القادر سنة 1387ه/ 1967م، ودفن بمقبرة زنينة إلى جانب الولي الصالح سيدي امحمد بن صالح. وقد وصفه تلميذه المصلح سي عطيّة مسعودي بقصيدة حملت عنوان: "الدرّة الثمينة في أوصاف مؤسس زاوية زنينة" وأخذنا منها هذه الأبيات:

العِلمُ وصفٌ لازمٌ مع التُقَى والأمرُ والنَّهي لوجهِ ذي البَقَا
والعفو والصَّفحُ الجميلُ منه سجيَّةٌ لا ترغبنَّ عنهُ
لطفٌ ورفقٌ ووفَا تحمَّلَ صبرَ وشكرَ رحمةً تجمّلَ
وهمّة تعلو إلى سواها من المكارمِ التي حواهَا[26]

ب. الدور الاجتماعي والثقافي لزاوية سي عبد القادر الزنيني:

في أعقاب الحرب العالمية الأولى كانت زنينة تمثّل بؤرة تفشي وباء الحمى الصفراء أو التيفوس في دائرة الجلفة، فمات الكثير من أهل القصر، و لم تكن إدارة الاحتلال عندئذ تهتم بعموم "الأهالي"، لقد كانت عائلات المحاربين والمجنّدين في الجيش الفرنسي هي الفئة المستفيدة من الاسعافات الاجتماعية، بالإضافة إلى الوباء عاشت زنينة ومنطقة الجلفة عامة بداية من سنة 1920م أوضاعًا متأزمة ومجاعة كبيرة نظرا لتطوّر المشاريع الاستعمارية الرأسمالية وتطبيق القوانين التعسفيّة، بداية من مصادرة الأراضي وترسيمها تمهيدا للقضاء على الملكية الجماعية وضرب النشاط الرعوي بالمنطقة، وتحويل السكان المحليين الذين يمتهنون حرفة الرعي كمصدر دخل أساسي إلى أجراء في المساحات المستغلَة لقطف الحلفاء، وبساتين النخيل في المناطق الصحراوية المجاورة.

في ظل هذه الأوضاع برز الشيخ عبد القادر شيخ زاوية زنينة، الذي قام بنشاط اجتماعي كبير حيث كفل الأطفال اليتامى الذين فقدوا الأب أو الأم أو كليهما معا، وأعطى أهله وطلبته التمر ليوزعوه على الجوعى وتدبّر القماش لكسوة العراة، وداخل الزاوية كان سقف المطبخ وعمائم نسائه تسودّ من كثرة دخان الحطب، وكان يحمل بنفسه الطعام من داخل بيته إلى الطلبة والضيوف والمساكين، ومن أجل التكفل بأبناء بلدته، رهن الشيخ عبد القادر عند يهود زنينة برنوسه وحليّ نسائه ليطعم الطلبة والمحتاجين، وحتى استدان منهم[27].

وعندما انتشرت رائحة الموت في كل الربوع، حتى أن الموتى لم يجدوا من يدفنهم بسبب انتشار الوباء، كان الشيخ سي عبد القادر يرسل طلبته إلى الضواحي وعلى مشارف المدينة وفي الأماكن الخالية أو الغابية ليبحثوا عن ضحايا الجوع حتى يكرمهم بالدفن ولا يبقوا عرضة للتحلل والحشرات والحيوانات، وأمام هذا الخطب العظيم انقطعت خطوط التموين

ومعها اختفى القماش، فكان يقصد التجار اليهود ويطلب منهم أكياس التمر ليغسلها ويحوّلها إلى أكفان ثم يغسّل الموتى ويصلي عليهم ويدفنهم. وقد أشار الشيخ عطيّة مسعودي لأعمال الخير التي كان يقوم بها شيخ زاوية زنينة في قصيدته بقوله:

وكم كفى بنبله محتاجًا من غـــدا للأصفاءِ تاجًا
وكم ترى ببابه جموعًا يعمُّهم بفضلِه جميعًا
بمالهِ وروحهِ وقلبهِ جادَ ...وجاهدَ لوجه ربّهِ

ويجب أن نشير إلى أن نشاط الزاوية لم يقتصر على الجانب الاجتماعي، بل نهضت الزاوية بدور تعليمي بارز، خاصة مع وجود التعليم الفرنسي الموجّه، ونقص المدارس الحرّة، استطاعت زاوية زنينة ملء الفراغ، وقد تخرّج منها الكثير من العلماء ورجال الدين ليس بمنطقة الجلفة فحسب، كانت مقصد الطلبة وعلماء الدين من عدّة مناطق مجاورة، وكان من أبرز من تخرّج منها مفتي الجلفة والعالم الكبير عطية مسعودي، والشيخ لخضر الزاوي من المديّة، والشيخ عبد القادر الشطي[28].

الخاتمة:

مما سبق نستنتج، أن قصر زنينة يحظى بشواهد تعود إلى ما قبل التاريخ، وقد شكّل مركزًا عمرانيّا مهمّا في تاريخ منطقة الجلفة، وفي عهد الاسلام برزت زنينة بعد أن وفد إليها الولي الصالح سيدي امحمد بن صالح الذي ورغم ميله للتصوف، يعود له الفضل في تعمير القصر، وجعله وجهة لطلبة العلم من أبناء المنطقة خاصة في ظل الفراغ الثقافي وغياب المؤسسات التعليمية خاصة المدارس، و لم تكن زنينة منغلقة على أهلها حيث وفدت إليها العديد من القبائل المجاورة على غرار أولاد سيدي يونس والعبازيز وأولاد زيد، ومن الناحية السياسية ارتبطت المدينة بعلاقة صراع وتصادم مع رجال السلطة العثمانية، وشهدت انتقام باي الغرب

محمد الكبير في حملة صودرت خلالها ثروات سكانها، وفي عهد الاحتلال ساند سكان زنينة الأمير عبد القادر، مما عرّضهم لعقاب الجنرال يوسف، واستمر الدور التاريخي الايجابي للمدينة من خلال زاوية الشيخ عبد القادر الزنيني الذي تصدّى إضافة إلى التعليم والوعظ والإرشاد، إلى الوباء الذي فتك بالمنطقة ولعب دورا اجتماعيا لافتا في أعقاب الحربين العالميتين الأولى والثانية.

الهوامش:

1- M.O, Mac-Carthy, Dictionnaire géographique, économique, et politique de l'Algérie, Dubos frères, imprimeurs-libraires- éditeurs, Alger, 1858, p p361 – 364.

2- دوماس الدوق الصحراء الجزائرية، تر فوزية قندوز عباد، غرناطة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص197.

3- س ترومليي، الفرنسيون في الصحراء يوميّات حملة في حدود الصحراء الجزائرية، تر محمد معراجي، غرناطة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 331.

4- مجموعة مؤلفين، مقاومة الحاج موسى بن الحسن المدني الدرقاوي 1831 ـــــــ 1849، دار الجلفة إنفو للنشر والتوزيع، ط 1، الجلفة، 2017، ص44

5- Henri LHOTE, Les gravures rupestres de l'Atlas Saharien (Monts des Ouled-Nail et region de Djelfa), office du parc national du Tassili, Alger, 1984, p p198 – 200.

6- فرانسوا دوفيلاري، السهوب عبر العهود (مرافئ لتاريخ الجلفة)، ج: 1، تر عيسى بونوّة، ط 1، مطبعة رويغي، الأغواط، 2015، ص98.

7- مسعود بن سالم، قصور بلاد أولاد نايل... النشأة والتاريخ، فعاليات الملتقى الوطني (تاريخ وآثار الجلفة عبر العصور(، المنعقد بدار الثقافة "ابن رشد" بالجلفة، يومي 25 و 26 أفريل 2017، ص.18.

8- Trumelet Corneille, L'Algérie légendaire, librairie Adolphe Jourdan, Alger, 1892, p p41 – 57.

9- الطيب قرشي، زهرة الخمائل في نسب أولاد سيدي نايل ومن جاورهم من الأشراف والقبائل، دار الخلدونية، الجزائر، 2018، ص ص325، 326.

10- دوفيلاري، المرجع السابق، ص ص127، 128.

11- مبروك قارة، أولاد زيد تاريخ وأبعاد، أشراف وأحفاد، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، ط 1، الجزائر، 2009، ص ص31 ـــــــ 48.

12– قرشي، المرجع السابق، ص.344

13– محمد بن عبد الرحمن الديسي، **تحفة الأفاضل في ترجمة سيّدي نائل**، تحقيق محمد بسكر، دار كردادة للنشر والتوزيع، ط خ، بوسعادة ـــــــــ الجزائر، 2014، ص ص27 ـــــــــ 42.

14– الباي محمد الكبير: هو محمد بن عثمان الكردي، كان قائدا على فليتة ثم تدرج في المناصب حتى عيّنه الداي عثمان باشا بايا على الإيالة الغربية سنة 1779، قضى على الثورة الدرقاوية، ونظم البلاد ونشر الأمن، وأخضع القبائل المتمردة، توفي في ظروف غامضة سنة 1797. للمزيد ينظر إلى: اسماعيل زيوش جوانب من السياسة الدينية للباي محمد الكبير بايلك الغرب 1779 ـــــ 1797، مجلة دراسات وأبحاث، ع1، مج12، جامعة الجلفة، جانفي 2020، ص ص380 ـــــ 384.

15– أحمد ابن هطال التلمساني: من علماء الجزائر في أواخر العهد العثماني، تولى منصب رئيس الكتّاب في بلاط الباي محمد الكبير، هذا الأخير كلّفه بتقييد تفاصيل رحلته أو حملته العسكرية على جنوب الغرب الجزائري، لعب دورا في تحرير وهران من الإسبان، إذ كلّفه الداي بالقيام بمساعي دبلوماسية تمثلت في السفر إلى المغرب الأقصى من أجل جلب السلاح والخيرة الحربية، قتل ابن هطال على يد الدرقاويين في معركة فرطاسة سنة 1803. ينظر إلى: بن عتو بلبراوات، اهتمام الاستشراق الفرنسي برحلة الباي محمد الكبير إلى جنوب الغرب الجزائري، مجلة الحوار المتوسطي، ع 3 ـــ 4، جامعة سيدي بلعباس، مارس 2012، ص116.

16– أحمد بن هطال التلمساني، رحلة محمد الكبير "باي الغرب الجزائري" إلى الجنوب الصحراوي الجزائري، تح وتق محمد بن عبد الكريم، ط 1، عالم الكتب، القاهرة، ص50.

17– نفسه، ص: .50

18– نايبي سنوسي، واقع العلاقات بين قبائل الهضاب العليا الوسطى وتخوم الصحراء والسلطات العثمانية في نهار القرن 18 وبداية القرن 19م ـــــ قبيلة أولاد نايل أنموذجا ـــــ، مجلة حقائق للدراسات النفسية والاجتماعية، ع 8، مج 2، جامعة زيان عاشور ـــ الجلفة ـــ، نوفمبر 2017، ص.213

19– بن سالم، المرجع السابق، ص: 19.

20– مجموعة مؤلفين، المرجع السابق، ص ص233، 234.

21– بن يوسف التلمساني، التوسع الفرنسي في الجزائر (1830 ـــــ 1870)، أطروحة دكتوراه، إشراف يوسف مناصرية، جامعة الجزائر، 2004 ـــ 2005، ص306.

22– بن سالم، المرجع السابق، ص19.

23– قن محمد، جوانب من الوضع العام بالجلفة من خلال وثيقة أرشيفية عام 1903، مجلة أنسنة للبحوث والدراسات ، ع 10، جامعة زيان عاشور، 2014، ص54.

24- AWD, copie de lettres,(N° 1918/300), 18 octobre 1918.

25– علي نعاس، تنبيه الأحفاد بمناقب الأجداد(باقة من العلماء والصلحاء لمدينة الجلفة وضواحيها)، مطبعة رويغي، الأغواط، 2016، ص ص 505، 506.

26– المسعود بن سالم، جلفاويون عظماء في زمن المجاعات والأوبئة ...ملاحم تضامنية بمنطقة الجلفة في وباء 1920 – 1921، على الموقع

https://djelfainfo.dz/ar/mobile/homme_histoire/12435.html، تمت زيّارته بتاريخ 2022/03/31 على الساعة: 23:40.

27 – محمد الطيبي، نسائم عرفانية من حياة ربانية (نفحات عطرة من سيرة الشيخ العارف المربي: عبد القادر بن مصطفى الطاهري الرحماني قدّس الله روحه)، د ط، د د.

28 – نفسه.